



حاولت إقناع الرجال بالبقاء فترة أطول.. ولكنهم ردوا قائلين: ألا تسمعون دوي القنابل من بعيد...؟ فاضطررنا للرحيل سريعاً تطاردنا أرواح موتانا الذين تركناهم تحت الأنقاض. أو دهست جثثهم جنازير دبابات فاجرة مزقت أحشاء الأموات والأحياء..

صرخة أفلتت من الخيمة.

ترك الأطفال خيمة الشيخ المعلم.. تسابقت أرجلهم جرياً...

خرجت سيده.. ودخلت أخرى!!!

- هل جاء...؟؟!

صنعت برأسها علامة النفي.

ارتسمت الهزيمة على وجه الأطفال.. وعادوا إلى الشيخ المنتظر.

- سنوات مرت بأيام متشابهة.. جُر ساعاتها بطيئة متثاقلة.. أحمل دلو الماء إلى البئر.. تقودني خطواتي إلى السوق.. تفتلني عبارات المساومة وأصابع التجار الماكرة. تتفحص سجاداتي باحثاً عن عيوب تقلل من ثمنها القليل.. ليلاً أرقب النجوم.. أجدول بين ضوئها الخافت. وأزقتها الممتدة.. أبحث عن الوطن/ البيت والأهل تتيه نظراتي وترتد خجلة إلى مقلتي. وقبل أن يغلبني النعاس أرتب خيوط سجاداتي المقبلة.

رفعت العجوز رأسها أخذت تطوي أصابع يديها على كفيها ثم تبسطها مرات عديدة.

نظرت إلى الخيمة البعيدة..

- لو ولدت أنثى.. سيطبق الصمت على تلك الخيمة.. وتخرج النسوة مطبقات الشفاه خلف الأثنية. انكفأت العجوز على سجاداتها.. امتدت

فروع شجرتها.. اختبأت بينها طيور.. رسمتها بدقة ومهارة.. أسفلها بدأت تزرع أعشاباً خضراء. وتعيد من ذاكرتها جلسة عائلية راحلة.

قشعريرة سرت في جسدها النحيل أحست العجوز بغصة في حلقها..

انتصف النهار.. ارتفع صوت جليل بكلمات الأذان الرخيم. رددتها في خشوع. قاومت ضعفها المزمن.. سارت ببطء إلى داخل خيمتها لتتوضأ.. صرخات مفزعة.. هرعت النسوة إلى الخيمة يعرضن مساعدتهن.. ابتسامة الزوج.. وضحكات الابن.. تلح على مخيلة العجوز أثناء الوضوء.. تبتسم لهما.. تومي برأسها. وتمضي إلى سجادة صلاتها المزركشة بزخارف إسلامية رفعت يديها المعرورقتين مكبرة..

آيات القرآن تنساب من شفثيها.. صرخات الوليد القادم إلى الخيم من عالم البريء أعلنت مقدمه..

تدفق الأطفال إلى الخيمة...!!!

خرجت امرأة توزع تمرات وحلوى ادخرتها الحامل طوال أشهر حملها. ركعت العجوز. عالم سعيد رآته يطل من بين تسبيحاتها الخاشعة البطيئة.. الأطفال يرحون فرحين بالحلوى. صاحت سيده:

- هل ستجد الأم في ثديها لبناً ترضعه

للوليد...؟؟!

سجدت العجوز..

تعانقت جبهتها والمنبر المنقوش فوق السجادة..

اختلطت

التكبيرات والتسبيحات.. وتحولت السجادة إلى

حديقة خضراء..

